إنّ كلّ شيء عبدٌ لله تعالى

▲ قال تعالى:

{إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمواتِ والأرضِ إِلّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْدًا} ، كل الخلق في هذا الكون العظيم عبيد لله؛ يأتون لله مذعنين طائعين معترفين مقرين بأنهم مُلك لله تعالى وحده وهو الغني الحميد {وكانَ اللهُ غَنِيًّا حَمِيدًا}.

▲ وكل الخلق عبيد مملوكون لله تعالى، والمسلمون عباد لله تعالى.

▲ مقام العبودية لله شرف وإكرام، قال تعالى عن عباده الملائكة: {عِبَادٌ مُكْرَمُونَ}

▲والعبودية كانت اختيار رسول الله ﷺ، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– قال:

جلسَ جبريلُ إلى النبيِّ فَنظرَ إلى السَّماءِ، فإذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فقال لهُ جبريلُ: هذا المَلَكُ ما نزلَ مُنْذُ خُلِقَ قبلَ هذه السَّاعَةِ، فلمَّا نزلَ قال: يا محمدُ! أَرْسَلَنِي إليكَ رَبُّكَ؛ أَمَلَكًا جعلكَ، أَمْ عبدًا رَسُولًا؟ قال لهُ جبريلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يا محمدُ! فقال رسولُ اللهِ: لا بَلْ عبدًا رَسُولًا.

▲ وعقيدة المسلم أن الله تعالى ذو لطف بعباده، كما قال تعالى: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ} ، وقَالَ رسول الله ﷺ: للَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه –الأم– بوَلَدِهَا.

▲ من عِظَم حلم الله تعالى ولطفه جل جلاله قول رسول الله ﷺ :

"ليسَ أحَدٌ -أوْ ليسَ شَيءٌ- أصْبَرَ علَى أذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ -تعالى-؛ إنَّهُمْ لَيَدْعُونَ له ولَدًا، وإنَّه لَيُعافيهم ويَرْزُقُهُمْ!"

▲ و كما أخبرنا رسول الله ﷺ بقوله :

"قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك؛ وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني؛ وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته؛ وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا؛ وأنا الأحد الصمد؛ لم ألد؛ ولم أولد؛ ولم يكن لي كفوا أحد".

▲ وقد قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا}

▲ المؤمن في عبادته لله صاحب عزيمة ومثابرة ومصابرة ، وباعثه وداعيه في قلبه :

1. محبة الله تعالى
2. الرغبة في جنته وجزائه
3. الرهبة من ناره وعذابه

فهذه الأركان الثلاثة هي أساس العبودية لله وقوامها

▲قال العلامة ابن باز رحمه الله:

"من كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، كل ما زاد علم العبد بالله، وبأسمائه، وصفاته؛ زاد خوفه من الله، وزاد تعظيمه له، وزاد رجاؤه له، وزاد ثباته على الحق، واستقامته عليه، وحذره من خلافه".

▲دافع المسلم في الصبر على الطاعة شرف العبودية كما قال تعالى:

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}.

▲ودافع الصبر على أذى الخلق شرف العبودية قال تعالى: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} ، وقال رسول الله ﷺ: "الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا للنَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ".

▲ودافع الصبر عن معصية الله شرف العبودية قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى}.

▲ودافع الصبر على مصائب الدنيا شرف العبودية قال تعالى: {وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}.

▲هدي المسلم ونهجه في كل شأن من شئون حياته وأحواله أن يحقق العبودية للهِ تعالى، وهو يدور مع شرف العبودية لله ظاهرا وباطنا، بالاقتداء بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه –رضي الله عنهم أجمعين–.

▲ والمسلم يقتدي ولا يبتدي في عبادته لله تعالى ولبيان المعنى نذكر هذا المثال الموضح:

قال رسول الله ﷺ:

"ما أمَرْتُ بتشييدِ المساجدِ".

وقال الصحابي ابن عباسٍ -رضي الله عنه-: "لَتُزَخْرِفُنَّها كما زخرَفَتِ اليهودُ والنصارى".

نهى النبي ﷺ عن المبالغة والتكلف في بنيان المساجد ، كما أخبرنا عبد اللهِ بن عباس -رضِيَ اللهُ عنه- أن البعض سيتكلف في التشييد و التزيين عند بناء المساجِد كما زَين اليَهود صوامعهم والنصارى كنائسهم، وليس هذا التكلف في بناء المساجد و تزيينها من عبودية الله بل هذا التشييد مخالف لنهي النبي ﷺ وإن كان الفاعل نيته حسنة فالمسلم نهجه في تحقيق العبودية لله أنه يقتدي بما كان عليه النبي ﷺوأصحابه ولا يبتدي.

كتبه: **الشيخ محمد عثمان العنجري**

السبت 7 جمادى الاخرة 1444هـ

الموافق 31 ديسمبر 2022م